صحة وصف أمير المؤمنين عليه السلام بأولها هاشمي مولود من هاشميَيْن

بقلم: علي زكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف بريته وأفضل خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين، والصلاة والسلام على ابن عمه ونفسه وزوج ابنته أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلي قيام يوم الدين

تمهيد:

وقع كلام من متحدث من أهل العامة يُشكل فيه على تعبير متداول عند علماء الإمامية أنار الله برهانهم، وهو تعبيرهم عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأنه (أول مولود من هاشميْن)، ولما كانت هذه الدعوى تستبطن القدح في أعلام الطائفة من جهة جهلهم بتاريخ إمامهم الأول عزمت على أن أقف عندها وأبيّن زيفها نصرة لأمير المؤمنين عليه السلام ولأعلام الحق والدين رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين.

نبدأ المقالة بنقل كلام هذا المتحدث، قال:

(في إطار الحديث عن المناقب والخصائص يذكر كثيرٌ من أساطين الإمامية ومؤلفيهم كالشيخ المفيد والشريف المرتضى وشيخ الطائفة الطوسي وجماعة لا يُستهان بعددها عن الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أنّه أوَّلُ مولود وُلِدَ لهاشمي من هاشمية باعتبار أنَّ أباه (أبو طالب) هو ابن هاشم بن عبد مناف، وأُمُّهُ: فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها- هي بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. فماذا عن إخوته؟ أو ليس عليّ أصغر إخوته؟كان طالب بن أبي طالب-وقد مات كافراً- أول مولود لهاشمي من هاشمية.

ثُمَّ من بعده: عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه - وهو أول مولود لهاشمي وهاشمية جمع بين الإسلام وبين هذا النسب.ثُمَّ من بعده: جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو من هو! وفضله مشهور.ثُمَّ من بعدهم جميعاً: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فما الذي جعله أولاً؟ وما الذي جعل الأمر مختصاً به دون غيره؟ والصَّحيح أن يُقال: فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها- هي أوَّلُ هاشميّةٍ وَلَدَت لهاشميّ، كما قال مصعب الزُّبيري (236هـ) في «نسب قريش: ص40»، والجاحظ (255هـ) في «رسالة فضل هاشم من (الرسائل السياسية: ص453)»، وابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) في «المعارف: ص120»، والدينوري (333هـ) في «المجالسة وجواهر العلم: 130/ 2»،

والمطهر بن طاهر المقدسي (نحو٣٥٥هـ) في «البدء والتاريخ: 71/ 5»). هذا تمام كلامه، وأقول:

لابد أولاً من نقل كلمات الأعلام حول هذه القضية التاريخية لنرى هل ما نسبه إليهم دقيق أم لا؟ وهل من المعقول غفلتهم عن مثل هذا مع المشهورية ودعوى الاتفاق على أن أمير المؤمنين عليه السلام ليس هو أول مولود لأبي طالب وللسيدة فاطمة بنت أسد عليهما السلام أم أنه يمكن تخريج ذلك وتوجيهه.

فالكلام يقع في مقامين:

المقام الأول: نقل كلمات الأعلام.

يبدو أن هذا التعبير بدأ توصيف أمير المؤمنين عليه السلام به من قبل أعلامنا في مصنفاتهم على لسان الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه، حيث قال في الكافي: (وأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وهُوَ أَوَّلُ هَاشِمِيٍّ ولَدَهُ هَاشِمٌ مَرَّتَيْنِ)[1].

أما الشيخ المفيد فلم يعبّر أصلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أول مولود وُلد لهاشمي من هاشمية، وكأنه التفت إلى أن التعبير الأول موهم للإشكال -والذي يمكن دفعه كما سنبيّن-، بل عبّر بتعبير آخر حيث قال: (فكان أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإخوته أوّل من ولده هاشم

[1] الكافي ج٢ ص٤٧٣ طبعة دار الحديث

مرتين)[٢]، وفي نسخة أخرى (أول من ولد من هاشميْن) فهو كما ترى قرن بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين إخوته فلا يرد إشكال المتحدث المذكور ولا يتم مطلبه، ومن العجيب جداً هذه الجرأة على الشيخ المفيد رضوان الله عليه، ولا ندري هل المتحدث المذكور قد علم بذلك فأراد التدليس أو اشتبه عليه الحال!

ونفس تعبير الشيخ المفيد قد ورد في لسان غيره كالشهيد الأول في الدروس، قال: (ويستحب زيارة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فالأول: أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأبو طالب وعبد الله أخوان للأبوين، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهو وإخوته أول هاشمي ولد بين هاشميْن)[٣].

وأما السيد المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه فقال في رسائله: (وأم أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو أول هاشمي ولد في الإسلام بين هاشميين)[٤].

---

[٢] الإرشاد ص٦

[٣] الدروس ج٢ ص٦

[٤] رسائل المرتضى ج٤ ص١٠٨

وأما شيخ الطائفة الطوسي قدس سره الشريف فقال: (وهو أول هاشمي ولد في الاسلام بين هاشميين، وقبره بالغري من نجف الكوفة)[٥].

وممن ذكر هذا التعبير أيضاً العلامة الحلي رضوان الله تعالى عليه حيث قال: (وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وهو أوّل هاشميّ وُلد في الإسلام من هاشميّين، وقبره بالغرّي من نجف الكوفة)[٦].

وذكره غيره أيضاً وهو من التعابير المشهورة على لسانهم، ونكتفي بهذا القدر من كلماتهم.

المقام الثاني: توجيه كلام الأعلام.

وهنا عدة تعليقات:

التعليق الأول: من المستبعد جداً أن يكون هذا التعبير ناشئاً من الاشتباه والغلط كما ادّعاه صاحب المقالة، فليس من المعقول غفلة هذا الجمع الغفير -كما هو قد عبّر بنفسه- عن أمر مشهور تكاد كلماتهم الإطباق عليه، نعم قد يحصل الاشتباه فيما لو فرضنا توصيف اثنين أو ثلاثة، أمّا مع توصيف هذا الجمع فاحتمالية اجتماعهم على هذا الخطأ التاريخي موهونة جداً من باب حساب الاحتمال.

---

[٥] تهذيب الأحكام ج٦ ص١٩

[٦] تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية ج٢ ص ١٢٠

التعليق الثاني: إن ما قيل في المقالة من تعريض بأعلام الإمامية أنهم يجهلون بتاريخ أئمتهم وأنهم أخطؤوا خطأً تاريخياً فاضحاً، يمكن النقض عليه بأن جملة من أعلام العامة قد عبّر بنفس التعبير عن أمير المؤمنين عليه السلام، فإن كان هذا التعبير ناشئاً من الاشتباه فلماذا خص كلامه بأعلام الإمامية؟! وإن كان لكلامهم توجيه فما يُقال لتوجيه كلمات علماء العامة يُقال لتوجيه كلمات أعلامنا، هذا مقتضى الإنصاف إن كان المتحدث منصفاً! وإليك بعض كلماتهم التي يعبرون فيها بنفس التعبير:

١-كلمة ابن الأثير في أسد الغابة[٧]:

(وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم).

٢- كلمة أبي زكريا النووي في تهذيب الأسماء واللغات[٨]:

(وكناه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أبا تراب، فكان أحب ما ينادى به إليه، وهو أخو رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وأول هاشمى ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بنى هاشم).

---

[٧] أسد الغابة ج٣ ص ٥٨

[٨] تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص ٣٤٤

٣- كلمة ابن الصباغ المالكي[٩]:

(وكان عليّ رضى الله عنه هاشميا من هاشمين وأول مَن ولده هاشم مرّتين).

٤- كلمة الطيب بن عبد الله الحضرمي الشافعي:

(أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فهي أول هاشمية ولدت هاشميا، و هو أول هاشمي ولد بين هاشميين، و أول خليفة من بني هاشم)[١٠].

٥- كلمة سبط ابن العجمي:

(فاطمة بنت الأسد: أول هاشمية تتزوج من هاشمي، قاله النووي. وأول هاشمية ولدت هاشميا. وولدها علي رضي الله عنه أول هاشمي بين هاشميين)[١١].

التعليق الثالث: إن هذا التعبير قد ورد في بعض المصنفات التي هي بمثابة المراجع والمصادر التي يُرجع وقد وُصف أصحابها بخبرويتهم في هذا المجال، ومن أولئك:

---

[٩] الفصول المهمة ج ١ ص١٧٢

[١٠] قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ج١ ص٣٢٣

[١١] كنوز الذهب في تاريخ حلب ج٢ ص٦٩

مصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦هـ) وقد وصفه الذهبي بأنه علامة نسّابة، وقد روى عنه مسلم وأبي داود[١٢]، ومن تصانيفه كتاب (نسب قريش) وهذا التأليف من الكتب المتقدمة في الأنساب، ومما جاء فيه:

(كانت الشفاء بنت هاشم عند هاشم بن المطلب؛ فولدت له عبد يزيد بن هاشم، كان يقال له " المحض ". قال مصعب: المحض يكون من ابن عم وابنة عم، وعلى بن أبي طالب محض، يقال: إنه أول مولود ولد بين هاشميين)[١٣].

التعليق الرابع: هنالك جملة من التعابير المتداولة عند بعض علماء الأنساب كالتعبير بأول هاشمي وأول حسني وأول حسيني، والذي يبدو من بعض كلماتهم أنه تعبير يُطلق على العقب، فيقال مثلاً: الحسن المثلث أول حسني اجتمع له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، مع وصفهم لإبراهيم الغمر بأنه كذلك، وعبد الله الباهر يوصف بأنه أول حسيني اجتمع له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، مع أن الإمام الباقر عليه السلام يوصف بذلك الوصف أيضاً، ومرادهم من هذا الاستعمال أنه مِن أول عَقبٍ تجتمع فيه هذه الخصوصية، وكذا يُقال في التعبير بـ(أول هاشمي من هاشميْن) فهو وصف للعقب الذي اجتمعت فيه هذه الخصوصية، وإذا كان المراد كذلك فلا مانع

---

[١٢] سير أعلام النبلاء ج١١ ص٣٠

[١٣] نسب قريش ص١٧

من وصف أمير المؤمنين عليه السلام به، بمعنى أنه من العقب الأول الذي تولد من هاشمي وهاشمية.

وهذا يُمكن أن يستظهر مما جاء في (الفخري في أنساب الطالبيين) حيث ورد فيه: (اللطيفة التاسعة أمير المؤمنين و جعفر الطيار و عقيل هم أول هاشمي ولده هاشم مرتين)، وقال:(اللطيفة العاشرة محمد الباقر عليه السلام و عبد اللهّ الباهر أول حسيني اجتمع له ولادة الحسن و الحسين عليهما السلام)، وقال: (اللطيفة الحادية عشر عبد اللهّ ديباجة بني هاشم، و ابراهيم الغمر، و الحسن المثلث، أول حسني اجتمع له ولادة الحسن و الحسين عليهما السلام)[١٤].

فإن تعبيره عنهم جميعا بأول هاشمي وأول حسني وأول حسيني يستظهر منه ما ذكرناه أنه وصف للعقب، وأن كل واحد منهم يمكن وصفه به باعتباره واحداً من ذلك العقب.

---

[١٤] الفخري في أنساب الطالبين ص٢٣٣ تحقيق السيد مهدي الرجائي.

أقول: كاتب هذا الكتاب هو إسماعيل بن الحسين المروزي (كان حياً ٥٩٢هـ) وقد ألف كتاباً يُعرف بـ(الفخري في أنساب الطالبيين)، وسبب تسميته بالفخري أنه كتبه استجابةً للفخر الرازي حيث كان أستاذاً له، ويُعد كتابه من أمهات الكتب في هذا المجال، وقد حقق الكتاب المحقق السيد مهدي الرجائي بإيعاز من العالم الكبير والمحقق النحرير السيد شهاب الدين المرعشي طاب ثراه، وقد قدّم مقدمة على هذا الكتاب أشار فيها إلى ترجمة المروزي وأهمية هذا التصنيف، حيث قال: (لا يذهب على كل نقاد أن كتاب الفخري للشريف الجليل العلامة النسابة السيد أبي طالب عزيز الدين اسماعيل الحسيني الصادقي النسب المروزي من أجلّ الزُبر المنسقة في علم النسب، الواجد لنقائص المطالب، وشوراد المآرب)، وقد وصف ياقوت الحموي في معجم الأدباء المروزي بقوله: (وهو – أي المروزي– مع ذلك أعلم الناس يقيناً بالأنساب، والنحو واللغة والشعر والأصول والنجوم).

إذاً هذا الكتاب لمؤلف مشهود له بالتخصص والدقة في مجال الأنساب ولذا فإن ذكر كلامه لتأييد ما ذكرناه من الأهمية بمكان.

التعليق الرابع: إن ظاهر كلمات بعضهم أنهم ملتفتون إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام ليس أول أبناء أبي طالب صلوات الله عليه ومع ذلك يعبرون عنه بأنه أول هاشمي متولد من هاشميين، وهذه قرينةٌ على أن تعبيرهم بالأولية يُراد به معنى آخر على خلاف الظاهر منه، ومن تلك الكلمات:

كلمة ابن الأثير:

التي نقلنا جزء منها وهذا هو الجزء الثاني: (وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وكان عليّ أصغر من جَعْفَر وعقيل وطالب)[١٥].

كلمة القاضي التستري: قال: (وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أبو السبطين و أول هاشمي ولد بين هاشميين، و أول خليفة من بني هاشم و أصغر أولاد أبي طالب)[١٦].

التعليق الخامس: إن الأولية الواردة في كلماتهم يُمكن أن تفسر بأحد تفسيرات ثلاثة:

الأولية الحقيقية: بمعنى أن يكون المراد أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول أبناء أبي طالب عليه السلام وهذا مخالف لما ثبت من أنه أصغر أبنائه، وقد استبعدنا أن يكون هو المراد من كلماتهم.

---

[١٥] نفس المصدر السابق

[١٦] إحقاق الحق وإزهاق الطلب ج٣١ ص٥٧٩

الأولية الإضافية: أن يكون المراد أنه أول هاشمي متولد من هاشميين بالإضافة إلى إخوته، وهذا نظير ما لو قلت لشخص هو مع إخوته حج صرورة في عائلتهم، فتارة أقول: هؤلاء أول من حجوا في عائلتهم، وتارة أقول لكل واحد: هو أول من حج في عائلته ولكن بنحو الإضافة أي هو مع إخوته أول من حج.

أو بالإضافة إلى وصفه بالإمامة والخلافة، فيكون المعنى أول خليفة هاشمي متولد من هاشميين، وهذا المعنى ثابت في حقه على مبنى الفريقين، أما الإمامية فواضح وأما العامة فلا خلاف في أن من قُدم على أمير المؤمنين عليه السلام لا ينتسب إلى بني هاشم جزماً فهو الأول من بين إخوته بالإضافة إلى هذا الوصف، ولذا نجد بعضاً من أعلامهم قد نصّ على هذا المعنى أنه أول خليفة هاشمي قد تولد من هاشميْن.

أو بالإضافة إلى وصف الإسلام فإن أول من أسلم من بني هاشم ممن هو مولود من هاشميْن هو صلوات الله عليه ولا سواه.

وهذا الوجه -أعني الأولية الإضافية- أشار له العلامة المجلسي في مرآة العقول بنحو موجز وحاولنا تفصيل كلامه بالبيان المتقدم.

الأولية الأشرفية: بمعنى أنه يشترك مع إخوته في كونهم أول الهاشميين تولداً من أبوين هاشميين لكن أشرفهم وأفضلهم هو أمير المؤمنين عليه السلام بلا شك ولا

ريب، ومن هنا فإنه لشرافته يُخص بهذه الخصيصة وكأنه استفرد بها صلوات الله عليه، كأنه قد قيل أول هاشمي قد تولد من هاشميين يتصف بهذه الصفات الفريدة والخصائص التي خُص بها هو أمير المؤمنين عليه السلام.

التعليق السادس: ما ذكره المتحدث من أن الصحيح هو التعبير عن السيدة فاطمة بنت أسد صلوات الله عليها بأنها أول هاشمية أولدت هاشميين لا أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الأول فنقول تعليقاً عليه:

إن هذا المعنى في حق السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام صحيح ومقبول وقد وُصفت به من قبل جملة من أعلام الإمامية إلا أن هذا الوصف لا يلغي وصف أمير المؤمنين بكونه أول هاشمي مولود من هاشميين بل لا يصح أن يكون لاغياً له، فتلك خصيصة لأمه وهذه خصيصة له فهما صفتان منفصلتان، فهي أول هاشمية ولدت لهاشمي وهو أول هاشمي مولود بين هاشميْن، فلماذا إلغاء تلك على حساب هذه؟! بل كان الأولى به على الأقل أن يُدرج إخوة أمير المؤمنين عليه السلام معه ليصحح هذا التعبير إن كان خطأً في نظره لا أن يُلغيه بخصيصة اختصت بها أمه!

ولعله أراد بهذا الإلغاء أن يُعمي الأبصار عن فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام تُميزه في نسبه عن نسب من تقدم عليه، ولعل هذا هو الذي حدى بجملة من

الأعلام للتركيز على كونه عليه السلام هو الأول في هذه الخصيصة في قبال من تقدم عليه ممن لا ينتسب لبني هاشم.

هذا ما أردنا بيانه على سبيل العجالة، راجياً من الله تبارك وتعالى القبول والتسديد، وممن أنا بجواره وفي يوم مولده أن يقبلني خادماً من خدامه ولا يحرمني جواره ولطفه صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين

١٣/ ٧/ ١٤٤٥هـ

النجف الأشرف